مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 10 عدد: 4 السنة: 2021
ص: 412 - 432 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

تداولية أفعال الكلام في صبح الأعشى للقلقشندي

Pragmatism Of Langage Acts In Sobh-ul Aasha of Al Qalqashandi

* ط د. موسى طهراوي [1]، د/ كاهنة دحمون [2]

Moussa Tehraoui[1], Kahina Dahmoune [2]

[1] جامعة آكلي محند أولحاج البويرة، مخبر قضايا الأدب المغاربي (الجزائر)

[2] جامعة آكلي محند أولحاج البويرة، مخبر تحليل الخطاب بتيزي وزو(الجزائر)

[1-2]University Akli Mohand Oulhadj Bouira (Algeria)

m.tehraoui@univ-bouira.dz [1] . k.dahmoune@univ-bouira.dz[2]

تاريخ الإرسال:2020/11/09	تاريخ القبول:2021/05/25	تاريخ النشر : 2021/11/04

ملخص البحث

يتناول هذا البحث أحد أهم المفاهيم الإجرائية التي ترتكز عليها التداولية بشكل كبير، والذي يتمثل في أفعال الكلام، ومدى تجلياته في الدرس اللغوي العربي القديم .

إضافة إلى تقديم نماذج مختلفة من كتاب صبح الأعشى في كتابة الإنشا للقلقشندي، بغية توضيح الظاهرة والاستدلال عليها.

الكلمات المفتاح : أفعال كلام، أوستين، سيرل، صبح أعشى.

Abstract:

The study sought to determine one of the procedural concepts that pragmatics is essentially based on, which is the langage acts and its manifestations in the ancient Arabic linguistics discipline.

In addition to presenting a variety of patterns included in Sobh-ul Aasha fi Kitabat- il Insha (Al Qalqashandi), in order to clarify and deduce the phenomenon.

Keywords: Langage Acts, Austin, Searle, Sobh-ul Aasha.

مقدمة:

تعد التداولية من أحدث الاتجاهات اللغوية التي تهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل، فهي قائمة على مجموعة من المفاهيم والآليات الإجرائية أبرزها: أفعال الكلام، والتي تعد أهم نظرية في الدرس التداولي، وذلك إذا ما نظرنا إلى اللغة باعتبارها فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه.

* موسى طهراوي : m.tehraoui@univ-bouira.dz

وعلى هذا الأساس فإننا نطرح الإشكاليات التالية: كيف يمكننا الكشف عن البعد التداولي في صبح الأعشى من خلال أفعال الكلام؟ وإلى أي مدى يمكننا أن ننجز أثناء التواصل أفعالا؟ وكيف يتم تحقق الفعل عن طريق القول؟ وما هي الآليات التداولية المستعملة في التبليغ من طرف القلقشندي؟.

1- أفعال الكلام (Speech act):

يمثل الفعل الكلامي محورا أساسيا ومرتكزا من مرتكزات التداولية «إذ يعتبر نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، ومحتواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري»[1]، وهذا يعني أن كل ما يقال لابد أن يتصف بالمادية كونه أداء أو إنجازا يحمل دلالة ذات صيغة معينة بغية التأثير في المتلقي لتحقيق هدف أو غاية ما.

هذا ويعود الفضل في نشأة فكرة أفعال الكلام إلى أهم مبدإ في فلسفة اللغة الحديثة، ففحوى هذا المبدأ هو« أن الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق غير لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه»[2].

وإذا عدنا إلى ما يعنيه مصطلح(حدث اجتماعي) فهذا يعني أن هناك مجموعة من العناصر تشترك في الفعل اللغوي بهدف تحقيق عملية التواصل بين المتكلم(المخاطِب) والمتلقي (المخاطَب)، مع الأخذ بعين الاعتبار مقام صدور الفعل، فالوصول إلى قصد المتكلم يحتم على المتلقي سلوك طرق معينة في التأويل تتحكم فيها مجموعة من المعطيات اللغوية والمقامية والسياقية، ولهذا اعتبر فعلا سياقيا بحيث «لا يمكن النظر إليه بمعزل عن السياق(contexte)، فإذا أخذنا جملة من قبيل"سأحضر غدا" فإننا نجد أنها تفيد معاني عديدة، وذلك بحسب السياق، فهي تفيد الإخبار في سياق ما، وقد يكون لها معنى التهديد في سياق ثالث»[3]، وهذا ما يجعل تحديد الفعل الكلامي يرجع إلى مختلف المرجعيات والمنطلقات التي انطلق منها دارسو وباحثو أفعال الكلام، فهم يرون أن« تكلم لغة ما أو التحدث بها، يعني تحقيق أفعال كلامية، ومنها أفعال تصلح للتأكيد على أشياء Affirmation، أو إعطاء أوامر Des ordres، أو إثارة أسئلة Des interrogations أو القيام بوعود Des promesses، أو غير ذلك من الأفعال الكلامية...»[4].

1-1- أفعال الكلام عند أوستين:

يرجع الفضل في قيام نظرية أفعال الكلام إلى مؤسسها الأول "جون أوستين" وهذا في بداية مراحلها على مراجعة ما كان سائدا من اعتقاد لدى فلاسفة اللغة الوضعيين حول طبيعة الجمل اللغوية حيث

كانت الجمل الأساسية في اللغة هي الجمل الخبرية الخاضعة لمبدإ الصدق والكذب باعتبار أن« اللغة تهدف خاصة إلى وصف الواقع»[5] ،أما الجمل الإنشائية فكانت تعد من« قبيل الجمل التي لا معنى لها، لأنها لا تطابق واقعا خارجيا»[6].

كما ميّز أوستين داخل الجمل الخبرية بين الجمل الوصفية التي تخضع لمقياس الصدق والكذب، والجمل التي لا تقر واقعا ولا تصفه كالأمر والاستفهام والاعتذار... فهذه الأفعال يحكم عليها بمعيار التوفيق أو الإخفاق، وبهذا يكون التلفظ بالجمل التامة المستعملة يقابل إنجاز فعل لغوي[7] في طبقات مقامية مختلفة، هدفها وصف الواقع أو العمل على تغييره وهذا طبعا حسب رأي فلاسفة أكسفورد وبعض التداوليين. هذا وقد توصل أوستين في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى تقسيم الفعل الكلامي الكامل Acte de discours integral إلى ثلاثة أفعال فرعية على النحو التالي[8]:

أ- فعل القول: locutionary act ويقصد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة، تخضع لقواعد نحوية وصرفية وتركيبية سليمة إضافة إلى دلالة واضحة.

وينقسم فعل القول بدوره إلى ثلاثة مستويات بينما يسميها أوستين أفعالا:

الفعل الصوتي: وهو سلسلة من الأصوات يتلفظ بها الإنسان أثناء الكلام.

الفعل التركيبي: تأليف مفردات وفق قواعد لغة ما.

الفعل الدلالي: توظيف هذه الأفعال حسب معاني وإحالات محددة فهذا القول مثلا "إن الجو بارد" يحتمل أكثر من دلالة فيُفْهمُ منه:

- إخبار بشدة البرد في الخارج.
- الإكثار من الملابس.
- الخروج بالسيارة.

فكل هذا يُعتمد فيه على مجرد السياق لبلوغ غاية وقصد المتكلم.

ب- الفعل المتضمن في القول (Illocutionary act): وهو الحلقة الأساسية في بناء النظرية كلها، فهو عمل ينجز بقول ما، وهو الفعل الإنجازي الحقيقي القائم على أداء فعل معين، وهذا ما جعل أوستين يسمي الوظائف اللسانية الثانوية خلف هذه الأفعال بالقوى الإنجازية من قبيل السؤال وإجابته، وعد، أمر، شهادة في محكمة...والفرق بين الفعلين هذا والأول، كون الأول مجرد قول شيء ما، أمّا هذا فهو القيام بعمل ضمن قول شيء ما.

جـ- الفعل الناتج عن القول (Perllocutionary act): يرى أوستين أنه عند القيام بفعل القول وما يصحبه من فعل متضمن في القول (قوة إنجازية)، فإن المتكلم يقوم بفعل ثالث وهو: التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر من قبيل: الإرشاد، الإقناع وغيرها، وهي في الحقيقة ردود أفعال لمتلقٍ تأثر بالقول فكانت ناتِجة عنه لذا سماه أوستين "الفعل الناتج عن القول" وسماه البعض "الفعل التأثيري"[9]، وعلى هذا الأساس يمكن تمييز فعل الكلام (قال بأن...) عن قوة فعل الكلام (أقنعني بأن...)، أو أن نفصلهما معًا عن لازمي فعل الكلام[10]، فالفعل الناتج عن القول ما هو إلا رد فعل المخاطَب بفعل تأثير المخاطِب على مشاعره وأفكاره وتصرفاته.

وإذا نظرنا إلى الفعل اللغوي حسب تحليل أوستين فهو يتكون من ثلاثة أفعال تشكل مع بعضها كيانًا واحدًا علما أنّ الأفعال الثلاثة يقع حدوثها في وقت واحد، وبناء على مفهوم القوة الإنجازية قام أوستين بحصر الأفعال اللغوية في خمس فصائل كبرى[11]:

الحكمية (الإقرارية- Verdictives): وتقوم على الإعلان عن حكم، تتأسس على بداهة أو أسباب بديهية أو أسباب وجيهة، تتعلق بقيمة أو حدث. مثل: إخلاء الذمّة، وعد، وصف، حلل، قدّر، صنّف، قوّم، طبع...

التمرسية (Exersitives): وتقوم على إصدار قرارات لصالح أو ضد سلسلة أفعال، مثل: نصح، تأسف، عيّن، أعلن عن بداية جلسة أو غلقها...

التكليف (الوعدية- Commissives): وهو أن يلتزم المتكلم بسلسلة أفعال محددة، مثل: القيام بمعاهدة، وعد، الانخراط في حزب، الالتزام بعقد...

العرضية:(التعبيرية- Expositives): تستعمل في عرض مفاهيم وتبسيط موضوع، توضيح استعمال كلمات، ضبط مراجع...مثل: أجاب، أنكر، اعترض، وهب، فسر...وهذه الأفعال تعرض مفاهيم مفصلة.

السلوكيات (الإخباريات- Behaviors): وتتعلق بردود أفعال تعبيرات اتجاه سلوك الآخرين، واتجاه الأحداث المرتبطة بهم، فهي تعابير مواقف اتجاه السلوك والمصير، مثل: الاعتذار، الشكر، التهنئة، الترحيب، اللعنة...وكذلك الاحتجاج، فهذه الأفعال تقوم بضبط مكانة القول داخل الخطاب، أو الحوار، أو الحديث.

1-2- أفعال الكلام عند سيرل:

يعد سيرل أول من طور فكرة أوستين حول نظرية أفعال الكلام، وذلك بعد استفادته لما قدمه أستاذه أوستين، إذ تمكن من بناء نظرية مكتملة حين« قدم شروط إنجاز كل فعل إلى جانب بيانه شروط تحول فعل من حال إلى حال أخرى، وآليات ذلك، وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود»[12].

وعلى العموم فالعمل اللغوي أو الأعمال اللغوية المنجزة حسب سيرل مرتهن عند قول جملة ما بدلالة تلك الجملة ولا« تُحدد دلالة الجملة في كل الحالات على نحو أحادي العمل اللغوي المنجز عند إلقاء تلك الجملة بعينها لأن المتكلم قد يعني أكثر مما يقوله بالفعل، ولكن من الممكن مبدئيا أن يقول بالضبط ما يعنيه، ولذلك فإنه من الممكن مبدئيا لكل عمل لغوي يُنجز أو يقبل الإنجاز أن تحدده على نحو أحادي جملةٌ معينة، وذلك على اعتبار التسليم بأن المتكلم يعني ما يقوله حرفيا وأنّ السياق مناسب»[13]، ومن هنا فهو يقر بأن إنتاج أي جملة مستعملة تامة هو إنجاز عمل لغوي، ولهذا فالنظرية اللغوية عنده جزء لا يتجزأ من نظرية العمل.

هذا وقد أعاد سيرل تقسيم الأفعال الكلامية، وارتأى أنها على أربعة أقسام:

- فعل التلفظ (صوتي، تركيبي).
- الفعل القضوي (الإحالي والجملي).
- الفعل الإنجازي (نفس الرؤية الأوستينية).
- الفعل التأثيري (نفس الرؤية الأوستينية).

ثم قام باقتراح خمسة أصناف جاءت على النحو التالي[14]:

الإخباريات (Assertives): والغرض الإنجازي فيها هو وصف المتكلم واقعة معينة من خلال قضية، وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، وشرط الإخلاص فيها هو النقل الأمين للواقعة والتعبير بصدق عنها.

التوجيهيات (Directives): وغرضها الإنجازي توجيه المخاطَب إلى فعل شيء ما، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات وشرط الإخلاص هو الرغبة الصادقة، ويدخل في هذا الصنف: الأمر، النصح، الاستعطاف، التشجيع، الدعوة...

الالتزاميات (Commissives): أفعال التعهد، وأفعال التكليف عند أوستين وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء معين في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد مثل: الوصية والوعود.

الفرق بين التوجيهيات والإلتزاميات هو أن:

- المتكلم هو المرجع في الالتزاميات أمّا التوجيهيات فهو المخاطَب .

- المتكلم في الالتزاميات لا يحاول التأثير في السامع على عكس ما يفعله المتكلم في التوجيهيات.

التعبيريات (Expressives): وهي أفعال التمرس عند أوستين وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيرًا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس له اتجاه مطابقة. ويدخل في هذا الصنف أفعال الشكر والتهنئة والاعتذار والمواساة...

الإعلانيات (Déclarations): وتسمى أيضا بالإنجازيات، وتكون حين التلفظ ذاته، ولا يحتاج شرط الإخلاص فيها، فما يميز هذا الصنف من الأفعال هو أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، ومثال ذلك: أنه إذا أديت فعل إعلان الحرب فالحرب معلنة.

كما أن جهود سيرل لا تنحصر فقط فيما سبق ذكره بل له جهود أخرى من بينها وضعه لإثني عشر مقياسا لنجاح الفعل الإنجازي: كغاية الفعل، توجيهه، حالته السيكولوجية وغيرها، وسماها شروط نجاح فعل القول، بالإضافة إلى التمييز بين الأفعال اللفظية والأفعال الإنجازية، وتقسيمه الأفعال الإنجازية إلى صحيحة وضمنية أو مباشرة وغير مباشرة، وبهذا يكون سيرل قد ناقش عددا كبيرا من مباحث نظرية أفعال الكلام التي أرسى مبادئها الأولية معلمه أوستين.

2- تداولية أفعال الكلام في صبح الأعشى:

تضمن كتاب صبح الأعشى الكثير من الإنشائيات من أقوال الكتاب والشعراء والخطباء وغيرهم، كما تضمن الكثير من آيات الله عز وجل وحديث نبيه عليه الصلاة والسلام، وبما أن المقام لا يسعنا أن نتطرق إلى مختلف ظواهر نظرية أفعال الكلام، إلا أننا سنحاول دراسة بعض الجوانب التي نعتقد أنها الأهم في هذه النظرية، محاولين المزج بين عناصرها وبين ما تحتويه المدونة، ولعل خطبة قُس بن ساعدة الإيادي تعد نموذجا منها:

يقول قُس بن ساعدة الإيادّي، بسوق عُكاظ فيما نقله أصحاب السّيَر عن إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عنه وهي: "أيها الناس. اسمعُوا وعُوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آت، ليل داج، ونهار ساج، وسماءٌ ذاتُ أبراج، و نُجوم تَزهر، وبحار تزخر ، وجبال مُرساه، وأرض مُدحاه، وأنهار مُجراه. إنَّ في السماء لخَبَرا، وإن في الأرض لَعبرا! ما بالُ الناسِ يَذْهبون ولا يرجعون. أرضوا فأقاموا، أم تُرِكُوا

فناموا، يُقسِم قُسّ بالله قسمًا لا إثم فيه إنّ لله دينًا هو أرضى له وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكرا"[15].

تتكون هذه الخطبة من:

– **المرسل**: المتكلم في الخطاب هو قس بن ساعدة الإيادي

– **المتلقي**: قوم قس بن ساعدة، إضافة إلى كل من يتواجد بالسوق.

– **الزمن**: ينتمي الخطاب إلى أدب العصر الجاهلي، ويظهر هذا من خلال المناسبة التي أوردها أبو العباس القلقشندي في كتابه صبح الأعشى من خطب البلغاء وفصحاء العرب في العصر الجاهلي بغية التحجج بها.

– **الموضوع**: موضوع الخطاب مفاده بأنَّ قسا ينكر المنكر الذي شاع في الجاهلية، والغفلات التي كانت تسيطر على الناس فتنسيهم الموت والبعث والجزاء، فكان قس من بين العقلاء الذين كانوا يتوقعون أن يبعث نبي يغير ما شاع في الجاهلية من معتقدات فاسدة ومنكرات مهلكة...فهذه خطبة قالها في سوق عكاظ قبل ظهور الإسلام تتجلى فيها نظرته للحياة وتأملاته للكون بحثا عن وجود الخالق ومقدما كذلك نصحه وإرشاده.

الفعل الكلامي في الخطبة:

أ– فعل القول (Acte d'énonciation):

يعني القول مجرد التلفظ بالفعل أو بالمقولة عامة وهذه الملفوظات– حيث تم الإشارة برمز ق= القول– المنطوقة في الخطاب يمكن ترتيبها لتسهيل دراستها على النحو التالي :

ق1(أيها الناس)، ق2(اسمعوا واعوا)، ق3(من عاش مات)، ق4(ومن مات فات)، ق5(وكل ما هو آت آت)، ق6(ليل داج)، ق7(ونهار ساج)، ق8(سماء ذات أبراج)، ق9(ونجوم تزهر)، ق10(وبحار تزخر)، ق11(وجبال مرساة)، ق12(وأرض مدحاة)، ق13(وأنهار مجراة)، ق14(إن في السماء لخبرا)، ق15(وإن في الأرض لعبرا)، ق 16(ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون) ق17(أرضوا فأقاموا، أم تركوا فناموا)، ق19(إن لله دينا هو أرضى له وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه)، ق20(إنكم لتأتون من الأمر منكرا).

من خلال هذا التقسيم يتبين أن فعل القول يبدأ من ق1 إلى ق20، فهذه الأفعال تحمل معاني الإخبار والتقرير والوصف والنصح والإرشاد...فهي أفعال تحقق مع نطقها أمران أوله القول في حد ذاته وثانيه ما يحمله القول من حمولة دلالية رابطة بين المتكلم والمتلقي.

ب- الفعل الإنجازي (Acte illocutoire):

تعتمد اللسانيات التداولية بشكل كبير على نظرية أفعال الكلام حيث تقوم بدراسة الفعل وذلك بوصفه حركة وفعلا وإنجازا، لكن الملفت للنظر أن أوستين أطلق تسمية على نظريته باسم الفعل الإنجازي أو النظرية الإنجازية، وهذا ما يوحي باهتمام أوستين بالفعل الإنجازي فهو في نظره« ما يؤديه الفعل اللفظي من وظيفة في الاستعمال، ومن معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي»[16]. ومن ثمة فهو مخالف لكل من الفعلين اللفظي والتأثيري، فالفعل الإنجازي عنده يرتبط ارتباطا وثيقا بمقصد المتكلم، وعلى السامع استعمال عقله للوصول إلى المعنى المراد، وبهذا يكون مفهوم قصد المتكلم، قد أدى دورا مهما في نظرية الأفعال الكلامية، وعليه فالخطبة تندرج ضمن الأفعال الإنجازية والتأثيرية لأن مضمونها إقرار حقائق وتقديم نصائح وتوجيهات وإرشادات مقومة للسلوك مع العلم أن أوستين قد صنف النصح والوصية ضمن الإنجازيات، وهذا ما يجعلنا نعد خطاب قس بن ساعدة خطابا إنجازيا بامتياز.

وبما أن فعل الإنشاء هو «الفعل المتضمن في القول، وهو الفعل الإنجازي الحقيقي، إذ أنه عمل ينجز بقول ما، وهذا القسم هو المقصود من نظرية الأفعال الكلامية برمتها»[17]. ففعل الإنشاء يتحقق في القصد المتضمن في القول من نصح أو حكم... وهذا ما يجعل الفعل الإنشائي يعني أنه هو التلفظ والإنجاز في نفس الوقت، والقصد المتحقق في هذا القول هو ما قدمه الخطيب من نصائح للناس في سوق عكاظ، وذلك بأن تحقيق الاعتدال مرهون بتغيير سلوكاتهم. فعلى سبيل المثال نأخذ قوله: (ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر)، ففي هذا الفعل الكلامي دعوة إلى التفكر في كل هذا الإبداع الذي يقف وراءه خالق عظيم، وبهذا التفكر الذي يحاول من خلاله إرجاع الناس إلى طريق الصحيح، فلو أخذنا قوله:(ونجوم تزهر، وبحار تزخر) فهنا يتكون الفعل الكلامي من فعل إسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول الفعلين(تزخر، تزهر)، وموضوع الفعلين هو الفاعل الظاهر نجوم وبحار، وقد أُشير إليهما بالضمير المستتر العائد عليهما.

أما فيما يخص دلالة الفعل فهو مشكل من قضية تكاسل الناس وتقاعسهم وغفلتهم وتماديهم في فعل المنكرات الموبقة، وهذا ما جعل الخطيب يتدخل وذلك بإسداء نصائح وتوجيهات يستنهض فيها القوم

المتواجدين بالسوق موظفا مختلف الحجج والبراهين الكونية، والدليل المتمثل في التقرير المقدم في مقدمة الخطاب. وباعتبار أن هذا الفعل الإنجازي يشتمل على أمر زائد يتمثل في فعل القوة التي للقول، فعند القيام بفعل القول وما يصحبه من فعل آخر متضمن في القول، فإن المتكلم يقوم بفعل ثالث ناتج عن القول وهو التسبب والتأثير في نفوس الملتقين للخطاب من أجل استدراجهم لإحداث استجابة لديهم وذلك عن طريق أسلوب الإقناع.

لم يعمد قس إلى استعمال الأوامر الفوقية المباشرة غير المبررة إلا في موضع واحد (اسمعوا وعوا)، وكأنّه على دراية بأن النفس البشرية لا تحب مثل هذا الأسلوب الفوقي فقد أوجد حجة تزيد الإيضاح، وتبلغ من التأثير حد الإقناع أي مخلفات ما ينتج عن فعل القول، مع ملاحظة أن هذه الأفعال« هي ليست أفعالا ثلاثة يستطيع المتكلم أن يؤديها واحدة تلو الأخرى بل هي جوانب لفعل واحد»[18]، كالقول: (إنكم لتأتون من الأمر منكرا) فهذا القول يتكون من فعل إسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول الفعل(تأتون)، وموضوع الفعل الأول هو الفاعل المشار إليه بالضمير المتصل (الواو) الذي يعود على من في السوق، وفعل إحالي يحيل إلى المفعول (منكرا) مشارا إليه بالاسم، أما الفعل الدلالي فهو مشكل من القضية المشار إليها سابقا، وهذا ما جعل من الأمر منطقيا وهو تدخل الخطيب كعارف وعالم ومجرب بالحياة من أجل توعية وإعادة نشر الوعي بين أوساط الناس، فينشأ عن ذلك فعل التأثير المتسبب في نشوء آثار في مشاعر وأفكار المتلقي من أجل إحداث تغيير في نفوسهم وسلوكهم.

جـ- قوة الفعل الإنجازية :

إن توضيح سلوكيات من في السوق سواء في الماضي أو ما يترتب عنها في الحاضر راجع بالدرجة الأولى إلى القوة الإنجازية لاختلاف زمن الفعل (ماضي، مضارع، أمر) التي تعد من أبرز الآليات التي تساعد المتلقي على الوصول إلى مختلف المعاني وفهمها، خصوصا مع وجود أرضية مشتركة بين الخطيب والمتلقين بصفتهم ينتمون إلى ثقافة العصر الجاهلي. وبالنظر إلى القوة الإنجازية للأفعال الكلامية في هذا الخطاب فإنها تندرج ضمن أفعال السلوك الهادفة إلى إبداء سلوك معين، إضافة لارتباطها بعملية الإفصاح عن حالات نفسية تجاه ما يحدث للآخرين بسلوك اجتماعي معين.

تندرج ضمن البوحيات (Expressives) حسب تصنيف سيرل كل ما له علاقة بالتعبير عن الحالة النفسية مع توفر شرطي النية والصدق في محتوى الخطاب، وهذا ما نجده عند قس فقد عبر عن حالته النفسية بعقد النية والإخلاص نظرا لحرصه على تقديم جملة من الحقائق في شكل تقرير، فكان خطابه

خطاب عتاب في بعض المواضع على سلوكيات قومه، كعتابه لهم جراء تماديهم في المنكرات وإتباع شهوات الحياة وملذاتها كما في قوله (إنكم لتأتون من الأمر منكرا)، كما نلمس أيضا في هذا الخطاب نبرة إصلاحية تدعو إلى التفكر في هذا الكون (ليل داج، نهار ساج، نجوم تزهر...).

د- الفعل الإنجازي المباشر وغير المباشر في الخطبة:

يرى أوستين بأن المنطوق لا يكون منطوقا ناجحا، إلا إذا تم النطق به في ظروف ملائمة، وسيكون لهذه الفكرة أخطر الأثر في نظرية المنطوقات الأدائية، طالما أن الوظيفة الأساسية للمنطوقات الأدائية ليست التطابق مع الواقع، ولذلك فلا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، غير أن هذه المنطوقات لا تؤدي وظيفتها بشكل صحيح في كل الحالات، إذ قد يخفق المنطوق في أداء هذه الوظيفة[19]، فمن أجل تحقق الأفعال الإنجازية، وضع أوستين ما يسمى بشروط الملاءمة.

المتمعن للخطاب السابق يجد أن قسا أرسل مجموعة من الأفعال الكلامية غير المباشرة كالتي تحدث عنها سيرل، وهو الذي يرى أن أغلب اللغات الطبيعية أصبحت لا تخلو من مثل هذا النوع من الأفعال الكلامية غير المباشرة، وأرجع ذلك إلى القاعدة المشتركة بين كل من المتكلم والمتلقي على القيام باستنتاجات تصل بالمتلقي في نهاية المطاف إلى فهم قصد المتكلم، وذلك بالرجوع إلى عناصر إحالية مختلفة كالمقام والسياق الذي قيلت فيه، فإنجازية الفعل الكلامي غير المباشر تكمن في كونه يحمل قوتين إنجازيتين إحداهما ثانوية غير مقصودة من إنشاء الفعل وهي التي يمكن إدراكها من ظاهر العبارة، وقوة إنجازية رئيسية هي المقصودة من إنشاء الفعل ولا تدرك من خلال حرفية العبارة، بل لابد من استثمار أدوات لغوية وغير لغوية سياقية وتداولية لإدراكها، فمثل هذا المقصد ينبغي تبنيه سواء تحقق الفعل في الواقع أم لم يتحقق، وهذا ما يراه الطبطبائي وهو أن« من يقرر فهو يعبر عن اعتقاد، ومن يعد فهو يعبر عن نية، ومن يصدر أمرا إداريا فهو يعبر عن رغبة أو إرادة»[20]، ومن هذا فإنجازية الأفعال الكلامية تبقى متحققة ما دامت شروط النجاح متحققة ممثلة في قواعد تأسيسية مثبتة بمجرد التلفظ بها، إضافة إلى المتكلم المسؤول عن إصدار الأمر والذي يجب أن يكون في وضع يسمح له بإصدار هذه الأفعال الكلامية، وهذا ما نجده عند الخطيب وذلك عندما ألقى خطبته وفق إستراتجية إلقائية تجلت في عدة مقاطع من كلامه، والتي تتضح من خلال اللغة التي وظفها فيها، ويمكن تقسيمها إلى مرحلتين:

- المرحلة الأولى: وتبدأ من قوله: ق1(أيها الناس)...وتنتهي بقوله ق15 (لعبرا).

ابتدأ الخطيب خطابه بجملة إنجازية صريحة (أيها الناس)، والفعل الإنجازي فيها هو الطلب، والفعل التأثيري فيها هو الدعوة ولفت الانتباه، فالابتداء بالنداء وفق أداته المحذوفة يمثل للمتكلم ومتلقي الخطاب افتتاحا للدلالة على أجواء الخطاب وهذا ما عرف عند اللسانيين ببراعة الاستهلال، فالكلام الذي بعد هذا النداء يكون أكثر سبكا لفظيا وحبكا دلاليا وهو ما يحقق غاية الإبانة والوضوح من أجل ترسيخ فكرته، والتي تحققت بتضافر سلاسل من التقارير الوصفية المتصلة بمواقع الكلام وهو ما يجعلها تمثل حلقة وصل دلالية حيث تحدث فيها قس عن حالة الناس في السوق وما عليهم من تقاعس دون ذكر الصيغة الحرفية، وإنما نفهم ذلك من خلال فهم النص، ومن خلال مختلف الظروف المحيطة بالخطاب كالمقام والسياق الذي لا يكاد يكون مقتصرا على التقرير والتأكيد دون عتاب، وباستعمال لغة حقيقة لا مجازية. وعلى هذا الأساس فحري بنا أن نميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة وفق الجدول التالي[21]:

الأفعال الإنجازية المباشرة	الأفعال الإنجازية غير المباشرة
– ملازمة القوة في مختلف المقامات	–لا تظهر قوتها الإنجازية إلا في المقام.
– تؤخذ قوتها الإنجازية مباشرة في تركيب العبارة نفسها.	– يتوصل إلى قوتها الإنجازية عبر عمليات ذهنية.
/	– جواز إلغاء قوتها الإنجازية غير المباشرة

جدول توضيحي للتمييز بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة.

إن افتتاح الخطيب لكلامه بطلب الاستماع المقرون بالوعي في قوله:(أيها الناس، اسمعوا وعوا) لخير دليل على أهمية ما سيقوله، فقد استعمل مثل هذا الأسلوب لشد انتباههم قبل أن يكلمهم فيما يرمي إليه، ثم راح يذكّر الناس بمصيرهم الختامي وذلك بأنّ لكل إنسان نهاية مهما طالت حياته، فمن لم يمت اليوم لابد أن يموت غدا، ويتضح ذلك من خلال ما أورده من حكم مؤكدة في قوله:(من عاش مات، ومن مات فات)، ثم انتقل بأسماعهم بأنّهم لا يملكون شيئا يقفون به أمام ما هو آت في قوله:(وكل ما هو آت آت)، ثم راح يعدد تلك الصفات الكونية من ليل ونهار وبحار وجبال وغيرها، وهذه معاني أُستعمل فيها الأسلوب المباشر، إلا أن وراء هذا الأسلوب غايات ومقاصد أخرى تدل على أن هناك خالقا يقف وراء كل هذا الإبداع، الذي جعل القوم عاجزين أمام هذه الآيات الكونية.

اعتمد قس في سرد هذه التقارير الوصفية على عمق تجربته الذاتية والحياتية وتجربته مع قومه، فهو يواصل سرده لحججه بتعابير حقيقية غير مجازية لأن الأمر لا يتطلب الخيال الواسع فهو يخاطب العقول وذلك من خلال المزاوجة بين القول والعمل فيما اقترفوه من منكرات مخزية وأعمال مشينة.

– **المرحلة الثانية**: تبدأ من قوله: ق16(ما بال الناس...) وتنتهي بقوله ق20(منكرا)، حيث يواصل الخطيب في هذه المرحلة تغيير المسار الدلالي نفسه مع تغيير للصيغة متجها إلى الاستفهام في قوله:(ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تركوا هناك فناموا؟) وهو استفهام إنكاري غرضه التعجب، أما تأثيره فهو حث ودعوة المتلقي إلى استخدام العقل والمنطق حتى يخلص في حوار داخلي مع نفسه بأن قسا على حق فيما يقوله، وهذا دافع قوي لشحذ همم قومه.

ثم واصل كلامه بشحنة مشبعة وثقة بالنفس، وذلك حين قام بسرد مجموعة من التقارير الإيجابية، وهي بذلك نقلة جديدة على صعيد المعنى حيث شرع في مواصلة الأداء الجمالي عبر شعرية اشتملت على استعمالات حقيقية من قبيل القسم وذلك للتشديد على قومه للانصياع لما يقوله، إلا أنّها تتسم بخطابية غير مباشرة في بعض الأحيان تُمثلُ جزءا من لغة النص في عرضه لمختلف الوقائع والحقائق، ففي قوله:(إنكم لتأتون من الأمر منكرا) يتكون من فعل إسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل (صيغة تقرير) وموضوع هذه الأفعال الضمير المتصل(كم) والضمير المتصل(و) وهو فعل إحالي إلى قوم الخطيب، وذلك بالإشارة إليه عن طريق الضمير المتصل(كم).

أما الفعل الدلالي فهو مشكل من قضية تقاعس وتكاسل قومه عن الاتعاظ وتماديهم في أفعالهم، وهذا ما استدعى منه أن يقوم بدور الموجه المرشد من أجل استنهاض هممهم.

نماذج أخرى عن أصناف الفعل الكلامي في المدونة:

1/ الإخباريات (Assertives):

تعد الإخباريات أحد أصناف الأفعال الكلامية، فما جاء في كتاب صبح الأعشى من أقوال لكثير من الكتاب والشعراء والخطباء وغيرهم، إذ نجدهم قد اتخذوا من الخبر وسيلة لنقل الأخبار وتبليغ ما يدعون إليه من وصف للحوادث وعرض لمختلف المواقف، ويندرج ضمن هذا النوع من التصنيفات مجموعة من المقولات والخطب الواردة في المدونة على غرار الخطبة السابقة التي تناولناها في دراستنا، فقد احتوت على مجموعة من الأفعال الكلامية المباشرة التي دلت عليها القوة الإنجازية الحرفية، وأفعال أخرى غير مباشرة دلت عليها القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا نذكر منها:

- **التأكيد**: وهو فعل كلامي مباشر دلت عليه الكثير من الجمل من مثل:
  - إن في السماء لخبرا.
  - إن في الأرض لعبرا.

– إن لله دينا هو أرضى له وأفضل.

– إنكم لتأتون من الأمر منكرا.

فهذا التأكيد جاء بالأداة إن ولام الابتداء وذلك لتأكيد الحقائق وإثباتها في نفس السامع.

- **النداء**: "أيها الناس"، فعل كلامي مباشر دلت عليه القوة الإنجازية الحرفية للملفوظ السابق، والفعل الكلامي المتضمن في القول وهو لفت انتباه المتلقي، وهو فعل كلامي غير مباشر مستلزم مقاميا.
- **الاستفهام**: فعل كلامي مباشر دلت عليه القوة الإنجازية الحرفية للملفوظ "ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون"، والفعل الكلامي المتضمن في القول وهو التعجب، وهو فعل كلامي غير مباشر مستلزم مقاميا.

2/ التوجيهيات (Directives):

الأفعال التوجيهية تعبّر عن توجّه المرسل إلى أن ينفذ المرسل إليه بعض الأفعال في المستقبل، كما أنها تعبر عن رغبة المرسل بأن يكون خطابه أو بأن تؤخذ إرادته التي انطوى عليها خطابه، على أنها هي الدافع الحقيقي في الفعل الذي سوف يأتي به المرسل إليه مستقبلا[22]، كما تضم التوجيهيات الأوامر والنواهي، والطلبات.

لقد وظفت هذه الإستراتيجية بكثرة في مدونتنا خصوصا ما تعلق الأمر بالنصح والإرشاد والوعظ والتعليم، ونلمس ذلك في مجموعة من الأحاديث والنصوص والخطب ومنها:

خطبة كعب بن لؤي جد النبي صلى الله عليه وسلم فيما ذكره أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل: " اسمعوا وعوا، وتعلّموا تعلموا، وتفهّموا تفهموا، ليل ساج. ونهار صاج، والأرض مهاد، والجبال أوتاد، والأولون كالآخرين، كل ذلك إلى بلاء، فصلوا أرحامكم، وأصلحوا أموالكم، فهل رأيتم من هلك رجع، أو ميتا نشر، الدار أمامكم والظن خلاف ما تقولون، زينوا حرمكم وعظموه، وتمسكوا به ولا تفارقوه، فسيأتي له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم"[23].

تضمنت هذه الخطبة الفعل الكلامي التالي:

- **الأمر**: هو فعل كلامي مباشر اتضح من خلال القوة الإنجازية الحرفية وتمثل في (اسمعوا، عوا، تعلموا، تفهموا، صلوا، أصلحوا، زينوا، تمسكوا). فالأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام[24].

وهذه الأفعال الأمرية موجهة من جد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كل شخص عاصره في زمن الجاهلية، فكعب كان ذو مكانة مرموقة بين قومه، وهو ما خول له إنتاج هذا الخطاب بناء على موقعه السلطوي.

- **النصح والإرشاد**: هو فعل كلامي غير مباشر دلت عليه القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا، فكعب ينصح ويرشد الناس إلى الأعمال الصالحة رغم أن الإسلام لم يظهر بعد.
- **الإخبار**: هو فعل كلامي مباشر اتضح من خلال القوة الإنجازية الحرفية المتمثلة في التقرير في قوله: فسيأتي له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم.
- **النهي**: هو فعل كلامي مباشر دلت عليه القوة الإنجازية الحرفية في قوله: "لا تفارقوه".
- **الوعد**: فعل كلامي غير مباشر دلت عليه القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا حين قرن بين فعل الأمر وجوابه في قوله: تعلموا ــ تعلّموا، تفهّموا ـــ تفهموا، فهذا وعد من كعب أن من تعلّم فإنه سوف يعلم بقدر ما تعلّم، وهو الحال نفسه مع تفهموا.

الغرض الإنجازي: وهو رغبة كعب بن لؤي عندما ألقى خطبته يوم العروبة بعكاظ من أجل توجيه الناس إلى إنجاز فعل وهو الالتزام والتمسك بالقيم الإنسانية النبيلة، وتذكيرهم بنعمة الله عليهم، وضرورة التأمل فيها وشكر الله عليها وعبادته، لأن هذه الحياة فانية ولا بقاء لأحد فيها (فهل رأيتم من هلك رجع، أو ميتا نشر)، فما عليهم إلا التحلي بمكارم الأخلاق المتمثلة في صلة الأرحام(صلوا أرحامكم) وإصلاح المال(أصلحوا أموالكم) وغيرها.

كما أننا نلمس الحالة النفسية للمتكلم من خلال استعماله الواسع للأمريات، وفي هذا دلالة على الحث والرغبة في إنجاز هذه الأفعال، التي تؤدي بدورها التأثيري في نفس المتلقي وترغيبه ودفعه للقيام بها، وما هذا إلا حرصٌ من كعب على أمته ودعوته لما فيه خير لهم، ومن هنا يكون قد تحقق شرط الإخلاص. أما اتجاه المطابقة فيكون من الكلمات إلى العالم، فكعب يدعو الناس إلى الالتزام، فإذا التزموا بتنفيذ أوامره فازوا ونجوا في الآخرة.

ومن خطب خالد بن عبد الله أمير البصرة: "أيها الناس! نافسوا في المكارم وسارعوا في المغانم، واشتروا الحمد بالجود، ولا تكسبوا بالمطل ذما، ولا تعتدوا بالمعروف ما لم تعجلوه... واعلموا أن حوائج الناس إليكم، نعمة من الله عليكم، فلا تملوا النعم فتحولوها نقما. واعلموا أن أفضل المال ما أكسب أجرا، وأورث ذكرا"[25].

يندرج هذا النص ضمن التوجيهيات حسب تصنيف سيرل، حيث تضمن كيفية تعليم الناس بعض الخصال والفضائل التي منّها الله عز وجل عليهم، من خلال استعمال فعلين كلاميين هما:

- **الأمر والنهي**: وهما فعلان كلاميان مباشران دلت عليهما قوة إنجازية حرفية تمثلت في الأمر:"نافسوا، سارعوا، اشتروا، اعلموا"، والنهي في: "لاتكسبوا، لا تعتدوا، لا تملوا...".
- **التوجيه والإرشاد**: فعل كلامي غير مباشر اتضح من خلال القوة الإنجازية المستلزمة التي تفهم من السياق الاستعمالي للخطبة، فخالد بن عبد الله يرشد ويوجه الناس إلى التمسك بمكارم الأخلاق والإسراع في الخيرات، وينهاهم عن بعض الأمور التي تضر بهم وبدينهم.

الغرض الإنجازي: وهو توجيه المخاطَب إلى تَعلُّم منهجية يستفيد منها ويستثمرها في الحياة من خلال تمسكه بالقيم النبيلة كمكارم الأخلاق، والأمر بالمعروف، وحمد النعم وغيرها.

3/ الالتزاميات (Commissives):

هو نوع من أفعال الكلام يستعملها المتكلم ليلزم نفسه بفعل شيء ما في المستقبل، فهي تعبر عمّا ينويه المتكلم من وعود وتهديدات وتعهدات[26]، ومن أمثلتها في المدونة:

قوله صلى الله عليه وسلم: «من صبر على حر مكة ولأواء المدينة ضمنت له على الله الجنة»[27].

فالفعل الكلامي المتضمن في القول التعبيري بمفهوم سيرل:

- **الوعد**: وهو فعل كلامي غير مباشر "ضمنت له على الله الجنة"، يتمثل في وعد النبي صلى الله عليه وسلم بضمان الجنة للذين صبروا وأقاموا في المدينة، فهذا الفعل الكلامي غير مباشر كشف عنه السياق والمقام.

الغرض الإنجازي: يتمثل في التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل، والنبي صلى الله عليه وسلم ألزم نفسه بوعد فحواه أنّه من صبر على صعاب المدينة ضمن له الجنة، وفي هذا المقام قال الإمام مسلم رحمه الله: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد مولى المهري أنّه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحرة فاستشاره في الجلاء من المدينة، وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله، وأخبره ألّا صبر له على جهد المدينة ولأوائها، فقال له: ويحك لا آمرك بذلك، إنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:« لا يصبر أحد على لأوائها فيموت إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة إذا كان مسلما»[28].

وفي هذا السياق نورد قوله صلى عليه وسلم:« لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة أو تمثال»[29]، في هذا الحديث فعل كلامي غير مباشر جاء في صيغة خبر منفي وهو:

- **الوعد**: فالنبي عليه أفضل الصلاة والسلام توعد بعدم دخول الملائكة بيتا فيه صورة أو تمثال، ونمثله كما يلي:

– قوة إنجازية حرفية (صريحة): ملفوظ الحديث.

– قوة انجازية مستلزمة مقاميا (ضمنية): الوعد.

الغرض الإنجازي: ألزم النبي عليه الصلاة والسلام نفسه ووعد ألّا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة أو تمثال، ومثل هذا الحديث يدل على عدم تعليق الصور، كونها مانعة لدخول الملائكة، والواجب طمسها، ولهذا جاء في حديث عليٍّ:" لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرا مُشْرِفًا إلا سوَّيته"، فلا يجوز اتّخاذها على الجدران أو على الأبواب، بل تجب إزالتها، أما إذا كانت تُمتهن في الأرض وتُداس في الأرض كالبُسُط والوسائد فلا تمنع، ولكن لا يجوز التصوير مطلقا، حتى ولو في البساط لا يجوز، لكن إذا كانت الصورة موجودة فيما يُداس أو في وسادة فلا تمنع؛ بدليل حديث أبي هريرة وحديث عائشة رضي الله عنهما[30].

4/ التعبيريات (Expressives):

هي أنواع أفعال الكلام تلك التي تبين ما يشعر به المتكلم، فهي تعبير عن الحالة النفسية تجاه الواقعة المعبر عنها تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص، ولها أن تتخذ شكل جمل تعبر عن سرور أو ألم، أو فرح، أو عمّا هو محبوب أو ممقوت[31].

تندرج التعبيريات في المدونة في كثير من المواضع نذكر منها:

ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم:« اللهم حببها إلينا كما حببت إلينا مكّة وانقل حمّاها إلى الجُحفة»[32].

فهذا الحديث يتضمن فعلا كلاميا مباشرا دلت عليه القوة الإنجازية الحرفية المتمثلة في ملفوظ الحديث، أما الفعل الكلامي غير المباشر فيكشف عنه المقام ويتمثل في الدعاء، حيث سأل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الله بأن يضاعف لهم في حبّ المدينة، لأنّه ترك مكّة لله تعالى وهو محبّ لها، فهو يسأله أن يُبدله حبّا أعظم من حبّه لمكّة، فالحديث السابق يحمل قوتيين إنجازيتين:

– قوة إنجازية حرفية (صريحة): ملفوظ الحديث.

– قوة إنجازية مستلزمة مقاميا (ضمنية): الدعاء وذلك حين أفصح النبي على الصلاة والسلام بما يشعر به من حب لمكة المكرمة ويظهر ذلك في قوله:(كما حببت إلينا مكة)، وحزنه على مفارقتها، إضافة

إلى سخطه على منطقة الجحفة والدعاء عليها بالوباء، وبالتالي فهو فعل كلامي فيه صدق وإخلاص في التعبير.

الغرض الإنجازي: عبر المتكلم عن حالته النفسية تجاه هذه القضية، والفعل التعبيري حقق نجاحه لتوفر شرط الإخلاص، فالنبي عليه أفضل الصلاة والسلام هو الصادق الأمين والقضية المعبر عنها تتمثل فيما رواه الإمام البخاري عن عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت: لما قدم رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم المدينة وُعكَ أبو بكر وبلال، فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الْحُمَّى يقول:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ *** وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:« اللّهمّ الْعَنْ شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأميّة بن خلف،كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء»، ثم دعا صلّى الله عليه وسلّم بهذا الدّعاء. فقال:"وصحّحها لنا، وانقل حُمّاها إلى الجُحفة"، وقوله بالجحفة :قال الخطّابي وغيره: كان ساكنو الجحفة يهُودا في ذلك الوقت، فهذا الحديث يتضمن الدّعاء على الكفار بالأمراض والأسقام والهلاك... وهذا مذهب العلماء كافّة[33].

وبما أنّه يدخل في هذا الصنف الشكر والترحيب والاعتذار والتعزية[34]، فهذه المدونة غنية بهذا الصنف على غرار ما جاء عن المعتصم إلى ملوك الآفاق من المسلمين عند قبض الأفشين على بابَك ملك الروم، وهي:" أما بعد، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لدينه، والعصمة لأوليائه، والعز لمن نصره، والفلج لمن أطاعه... لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يحمده أمير المؤمنين حمد من لا يعبد غيره..."[35].

نجد في هذا المثال تنوعا في الحالة النفسية للمخاطب بين الشكر والامتنان والاعتقاد، فانطلق من فعل كلامي مباشر دلت عليه الصيغة الحرفية للملفوظ السابق وهو الحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى، أما الفعل غير المباشر (الضمني) فتدل عليه القوة الإنجازية المستلزمة والتي يكشف عنها المقام وهي:

- **الشكر**: وهو فعل كلامي غير مباشر اتضح من خلال المقام الذي ورد فيه الخطاب حين قال:"الحمد لله الذي..." وبهذا يكون قد عبر عما يدور في نفسه من امتنان للخالق على ما أعطاه من نعم وتوفيق.
- **الاعتراف**: فعل كلامي غير مباشر دلت عليه قوة إنجازية مستلزمة مقاميا فالمعتصم يفصح عما يشعر به من اعتقاد جازم ويقين راسخ في القلب بوحدانية الله سبحانه وتعالى حين قال: "لا إله إلا الله

وحده لا شريك له، يحمده أمير المؤمنين حمد من لا يعبد غيره..." وهذا الاعتراف فيه صدق وإخلاص في التعبير ودلالة على حبه لله عز وجل لما وفقه إليه.

الغرض الإنجازي: الغرض من هذا الشكر والاعتراف هو التعبير عن الحالة النفسية للمعتصم بالله، ومدى شكره وحبه لله جل جلاله.

5/ الإعلانيات (Déclarations):

هي أحد أنواع أفعال الكلام التي تغير الحالة عبر لفظها، وسِمتُها المميزة أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، إضافة إلى أنها تقتضي عرفا غير لغوي، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، بغض النظر عن شرط الإخلاص.

ومن أمثلة ما يندرج ضمن الإيقاعيات المثال التالي:

ورد من السنة النبوية أن" النبي صلى الله عليه وسلم حين وجه معاذ بن جبل إلى اليمن.قال: إنّك سترد على قوم معظمهم أهل كتاب فاعرض عليهم الإسلام، فإن امتنعوا فاعرض عليهم الجزية وخذ من كل حالم دينارا، فإن امتنعوا فاقتلهم"[36]

السياق الذي ورد فيه هذا النص هو أيام دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك لما وجه معاذ بن جبل –رضي الله عنه– إلى اليمن داعيا إلى الله ومعلما، حيث رسم له الخطة التي يسير عليها في دعوته، فبين له أنّه سيواجه قوما أهل علم وجدَل من اليهود والنصارى، وليكون على استعداد لمناظرتهم، ثم ليبدأ في دعوته بالأهم فالأهم، فيدعو الناس إلى الإسلام أولا، فإن امتنعوا عن ذلك فاعرض عليهم الجزية ثانيا، فإن امتنعوا فاقتلهم. وهنا نجد فعلا كلاميا إيقاعيا صادرا منه صلى الله عليه وسلم وهو القتل وذلك لعدم انصياعهم لأوامره عليه الصلاة والسلام على لسان معاذ بن جبل. فالمتكلم أعلن حكما مستمدا قوته من سلطة الخطاب الإلهي، ومعاذ بن جبل في مقام دعوة وتبليغ، فما عليه إلا أن يقوم بضبط الحدود وتطبيق المطلوب كونه في مقام استمد قوته من سلطة الحديث النبوي.

الخاتمة والنتائج:

وفي الأخير يمكننا القول بأن التداولية تعد ميدانا لغويا خصبا، وذلك في محاولتها لفهم الاستعمال اللغوي من خلال السياق، ومقصدية المتكلم والعلاقة الرابطة بين العلامات ومستعمليها. هذا وقد خلصت دراستنا إلى:

– تعد أفعال الكلام الركيزة الأساسية في التداولية، وهذه الأخيرة تقوم بدراسة الفعل وذلك بوصفه حركة وفعلا وإنجازا.

– الغرض من الفعل الإنجازي هو مدى التزام المتكلم تجاه المخاطب بأداء عمل ما.

– تجلت أفعال الكلام في صبح الأعشى على هيئة أفعال أنجزت بأقوال دلت عليها قوة إنجازية حرفية، وقوة إنجازية مستلزمة مقاميا. حيث غلبت الإخباريات على المدونة، ويرجع هذا إلى القصد من وراء الكتابة الإنشائية،كون القلقشندي في مقام سرد وإخبار لمختلف الوقائع والأحداث لأحوال الأمصار والأعصار وغيرها، ونورد في هذا الجانب قول قُس بن ساعدة:"إن في السماء لخبرا وإن في الأرض لعبرا..."، فهذا القول يتضمن فعلا كلاميا مباشرا دلت عليه القوة الإنجازية الحرفية وذلك لتأكيد الحقائق وإثباتها في نفس المتلقي. أما التوجيهيات الواردة في المدونة فكانت في مجملها إرشاد وتوجيه للناس لأمور دينهم ودنياهم، وتجلى ذلك في مختلف الخطب والرسائل والمكاتبات وغيرها من المواضع، وأبرز آليات التوجيه تمثلت في النهي والأمر مثل:" أيها الناس! نافسوا في المكارم وسارعوا في المغانم "، فهذا القول يحمل قوة إنجازية حرفية، وقوة إنجازية مستلزمة تتضح من خلال المقام وهي التوجيه والنصح والإرشاد. أما الالتزاميات فجاء الوعد في مواضع والتهديد في مواضع أخرى كقوله: "لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة أو تمثال"، وهذا وعد منه صلى الله عليه وسلم بعدم دخول الملائكة للبيوت التي بها صورة أو تمثال، وفي التعبيريات تمثلت في مختلف مظاهر الشكر والثناء والاعتذار والاعتراف الامتنان وغيرها حيث جاءت في مواضع مختلفة كالرسائل والمكاتبات من مثل:" الحمد لله الذي جعل العاقبة لدينه، والعصمة لأوليائه"، فهذا شكر وامتنان لله سبحانه وتعالى وقد توصلنا إلى هذا الفعل الكلامي عن طريق القوة الإنجازية المستلزمة التي كشف عنها السياق. أما الإيقاعيات فتمثلت في إصدار الأحكام على اختلاف صيغها على غرار قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل:" إنك سترد على قوم معظمهم أهل كتاب فاعْرض عليهم الإسلام، فإن امتنعوا فاعْرض عليهم الجزية وخذ من كل حالمٍ دينارا، فإن امتنعوا فاقتلهم"، ففي هذا الحديث إصدار حكم القتل في حق يهود ونصارى اليمن إن لم يمتثلوا للدعوة الموجهة إليهم. وأمثلة هذه الأحكام كثيرة في المدونة.

– من خلال هذه الدراسة حاولنا إبراز ما يحدثه النص في متلقيه، ومن أجل الوصول إلى ذلك استندنا إلى التداولية كونها تساعدنا على فهم النصوص والتعمق في دراستها للوصول إلى مقصدية

المتكلم، ومدى تأثيره في متلقي الخطاب، أي أنها تعطينا قراءة جديدة خصوصا ما تعلق بالنصوص التراثية منها.

هوامش:

[1]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص40.

[2]- نواري درقاوي كلثوم، "تعليمية التعبير الشفهي من خلال النص المسموع لدى تلاميذ السنة الأولى من التعليم الابتدائي"، مجلة لغة كلام، المركز الجامعي غليزان، م3، ع1، 2017، ص112.

[3]- أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص120.

[4]- محمد أديوان، "نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني، ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة"، مجلة الوصل، ع1، تلمسان، 1994، ص39.

[5]- آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص29.

[6]- حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2014، ص91.

[7]- ينظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991، دط، ص17.

- وينظر: آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، مرجع سابق، ص31.

[8]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص41-42.

[9]- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، مصدر سابق، ص21.

[10]- المرجع نفسه، ص122.

[11]- ينظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، مصدر سابق، ص174.

- وينظر: فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، دط، 1987، ص62-63.

[12]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط1، 2009، ص98، وما بعدها.

[13]- جون ر . سورل، الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة، تر: أميرة غنيم، دار سيناترا، تونس،ط1، 2015، ص41.

[14]- ينظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص217.

- وينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2002، ص49.

[15]- أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، دار الكتب المصرية بالقاهرة، د ت، د ط، 1340-1922، ص212.

[16]- آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، مرجع سابق، ص3.

[17]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص 42 .

[18]- محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، مرجع سابق، ص67 .

[19]- صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص141.

[20]- طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، دط، 1994 ص22.

[21]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 83-84.

[22]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص337.

[23]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، مصدر سابق، ص212.

[24]- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص75.

[25]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، مصدر سابق، ص212.

[26]- جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2010، ص90.

[27]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، مصدر سابق، ص208.

[28]- https://www.muqbel.net/files.php?file_id=1&item_index=27، أطلع عليه بتاريخ:2020/11/7، الساعة: 18:36.

[29]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، مصدر سابق، ص205.

[30]- https://binbaz.org.sa/audios/2446/531، بتاريخ: 2020/11/7، الساعة: 19:57.

[31]- جورج يول، التداولية، مرجع سابق، ص90.

[32]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، مصدر سابق، ص208.

[33]- http://nebrasselhaq.com/index.php?option=com_content&view=article&id=362:-50-&catid=14:2010-06-04-11-47-53، التاريخ: 2020/11/7، الساعة: 21:35.

[34]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص50.

[35]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج6، مصدر سابق، ص400.

[36]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج13، مصدر سابق، ص356.